

## محاضرة

### ❖ نظرية الانعكاس ( لوكاتش و غولدمان):

جاءت مادة [ ع ك س ] في اللغة بمعنى: عكس الشيء يَعَكِسُهُ عَكْسًا فَأَنْعَكَسَ: ردّ آخره على أوله... والعكس هو الجذب والعطف والكفّ والردّ.<sup>1</sup> والمعنى نقل الأشياء على حقيقتها وهو المعنى المراد لنظرية الانعكاس.

كان ظهور المصطلح في عام 1845م في كتابات كارل ماركس المتعلقة بتحليل الصلة بين الأدب والمجتمع على ضوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.<sup>2</sup> وبالتالي فإن مصطلح الانعكاس أخذ مفهوما علميا ارتبط بالفلسفة المادية الجدلية الداعية إلى تعرية العلاقة المعبرة عن الصراع الطبقي داخل المجتمع، وارتباطه بالظروف التاريخية.

تعتبر إذا نظرية الانعكاس تعبيراً ناضجاً وصياغة أكثر إتقاناً للنقد الأدبي الماركسي، الذي يسعى إلى هدم صنم التسلط الفردي البرجوازي الذي يرى فيه أنه " فن يختفي تحت قناع الفن الخالص لأنه يخدم قوى الشر والضلال"،<sup>3</sup> واستبداله بأدب ينزل إلى المجتمع لمعانقة همومه وآلامه ومعاناته، وفي هذا يقول كارل ماركس: " إنّ الناس في نتائجهم الاجتماعي لوجودهم يدخلون في علاقات محددة ضرورية ومستقلة عن إرادتهم، وعلاقات الإنتاج تواكب مرحلة معينة من تطور القوى الانتاجية تكون الأساس الواقعي الذي يقوم عليه البناء الفوقي القانوني والسياسي الذي يتناسب معه أشكال محددة من الوعي الاجتماعي".<sup>4</sup>

في ظل هذه الفلسفة أعاد ماركس النظر في أمرين اثنين: طبيعة الأدب ووظيفته. بالنسبة لطبيعة الأدب فالماركسية تؤمن بأولية المادة وأن هذا الوجود هو الذي يقرر الشعور، على اعتبار أن الأساس الإبداعي لعمل الفنان يتلخص في أنّ كلّ عمله عكس بأمانة وصدق في فنه حياة الشعوب، لأنها حياة بلاده وشعبه.<sup>5</sup> أما عن غاية الأدب عندهم فهي وثيقة الصلة بموقف المبدع من قضية النضال الطبقي سواء كان التعبير

- ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مج6، ص: 144، 145.

- معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، سمير حجازي، دار الراتب الجامعية، لبنان، ص: 115.

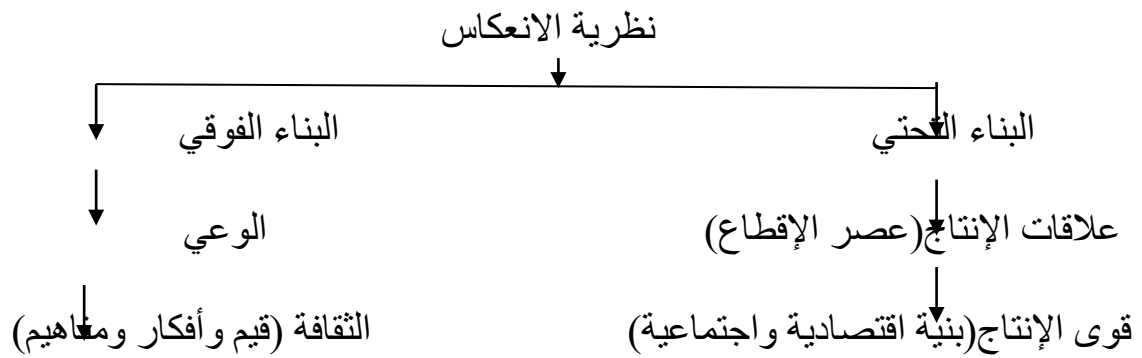
- فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1988م، ص: 137.

- الماركسية والوجودية، عبد المنعم الحنفي، ص: 24.

- ينظر، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، رجاء عيد، ص: 140.

مباشراً أو غير مباشر، عن وعي أو غير وعي للمصالح العملية الخاصة بجماعات اجتماعية معينة، فالفن مثله مثل إيديولوجية سلاح للنضال الاجتماعي سلاح للنضال الطبقي، يعبر على الدوام في صورة عن أفكار ومطامع وآراء وأحاسيس هذه الطبقة أو تلك هذه الجماعة الاجتماعية أو تلك.<sup>6</sup>

ترجع نظرية الانعكاس إذاً في صياغتها المتطورة إلى المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة المادية الجدلية، حيث يتحدد الانعكاس بوصفه العملية الإدراكية المقترنة بمعرفة الواقع أو المترتبة عليه، وهي عملية يتميز بها الإنسان عن الحيوان، على أساس ما ينطوي عليه الأول من وعي اجتماعي، لا ينفصل عن اللغة التي يعبر عنها. وعليه " كلما كان الفن واقعياً كان عظيماً".<sup>7</sup>



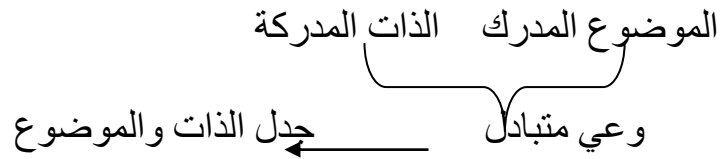
وأيّ تغيّر في البنية التحتية (علاقات الإنتاج) يتبعه تغيّر في الرؤيا لمفهوم المجتمع ويعني هذا أنّ الأدب انعكاس للمجتمع.

والانعكاس هنا لا يقصد به انعكاس الأشياء في المرآة ونقلها كصورة طبق الأصل من حيث هي موضوعات، ولكن الانعكاس إنما هو وعي متبادل بين الموضوع المدرك والذات المدركة بطريقة جدلية. يقول لينين: " المعرفة ليست انعكاساً في المرآة بل هي فعل معتد فعل من عناصره امكان التحليق بالخيال خارج الحياة بل امكان تحويل المفهوم المجرد إلى فكرة متخيلة لأن في التعميم الأكثر بدائية بعضاً من الخيال في أكثر العلوم حداثة".<sup>8</sup>

- ينظر، المرجع نفسه، ص: 139.<sup>6</sup>

- فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، رجاء عيد، ص: 138.<sup>7</sup>

- المرجع نفسه، ص: 135.<sup>8</sup>



ظل مفهوم الانعكاس حبيس النظرة الإيديولوجية الماركسية التي ترى " أن الفكر يخلق العالم ولا يعكسه فقط، وحين يعكس الفكر الواقع نلاحظ أنه يتيح لذاته القدرة على التدخل المباشر في الواقع"<sup>9</sup> إلى أن ظهرت آراء لوسيان جولدمان (Goldmann) المجددة للنقد الماركسي، وهي آراء في جوهرها تعتبر العمل الأدبي تماثلاً بين البنى الجمالية المستقلة نسبياً وبين الواقع الذي أفرز المبدع المنتج، ووعيه الطبقي والاجتماعي، ورؤيته للعالم. وكما قال جاك لينهارد (J. Leenhardt): «تقدم النظرية السوسيولوجية للأدب وجهاً متفرداً. فمن جهة بلورت مع لوسيان كولدمان (Lucien Goldmann) أداة دياكتيكية عميقة لتحليل النص حيث تدخل في علاقة دالة، كل البنى والمعاني الأدبية، والبنى الإيديولوجية والاجتماعية، ومن جهة أخرى، يشكل نظام الأدب نفسه كمارسة نصية إيديولوجية خصوصية أكبر رغبة لم يستطع أحد إدراجه ضمن مجموع نظري متماسك.<sup>10</sup>

يرى غولدمان أن البنية الفلسفية والفكرية موجودة في الأدب، ولكنها ليست بنفس النمط، ذلك أن الشخصية موجودة في الأدب، ولكنها تحدد موقفها ورؤيتها للعالم من خلال المجموعة البشرية التي تنتمي إليها، ونتيجة لوجود هذه العلاقات مع بقية الناس يتولد الحب والحد والأمل والأخوة والثأر، أي بناء على هذه القيم تحدد هذه الشخصية موقفها الأدبي وهو موقف فكري في النهاية يجسد حقيقة ما.

ومن بين أهم النقاد الذين تبنا المنهج الجدلي نذكر جورج لوكاش، وبليخانوف، وماكسيم جوركي، ورواد مدرسة فرانكفورت النقدية، ويعد جورج لوكاش من أهم النماذج المعبرة عن السوسيولوجيا الجدلية، كما يبدو ذلك جلياً في كتاباته العديدة، فهو " لا يؤمن بالنظرية

- المرجع نفسه، ص: 139.<sup>9</sup>

<sup>10</sup> - J. Leenhardt: **Lecture politique du roman**, éd. Minuit, Paris, 1973. p. 11.

القائلة: أنّ الأدب مجرد انعكاس للحقيقة الواقعية؛ ذلك أنّ الأدب في رأيه معرفة تلك الحقيقة".<sup>11</sup>

هذه المعرفة في حدّ ظنه لا بد أن تعكس الواقع بكيفية يذوب فيها و بها تعارض الجوهر والمظاهر، الماهية والظاهر، الحال الفردية والمتفردة والقانون العام... فالفن لا يولّد وعيا فحسب، إنما يتولد منه ويعيد إنتاجه في آن، ومن ثم لا يصل الانعكاس إلى مرتبة الفن إلا إذا كان فهم الجوهر يمر عبر ملاحظة المظهر ملاحظة واعية الاقتصار على الجوهر يقود إلى التجديد.

### ✓ مبادئ نظرية الانعكاس:

- \_\_ اعتماد الفلسفة المادية الواقعية.
- \_\_ اعتبار الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من الوعي.
- \_\_ الانتصار للطبقة العمالية الكادحية.
- \_\_ الأديب عضو من الجماعة، مشكلاته الخاصة جزء من مشكلات المجتمع.
- \_\_ اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية.
- \_\_ أن يكون الأدب هادفاً.
- \_\_ القارئ ليس مجرد متلقي للعمل الأدبي بل مشارك فيه.
- \_\_ العلاقة بين الأدب والظروف الخارجية علاقة جدلية.
- \_\_ اعتبار الأدب فعالية اجتماعية.

### ✓ غاية الأدب:

غاية الأدب عند أصحاب نظرية الانعكاس هي تحريك الإنسان حتى يغيّر من واقعه نحو الأفضل، فهي وظيفة اجتماعية.

---

- نظرية النقد الأدبي الحديث، يوسف نور عوض، دار الأمين، مصر، ط1، 1994م، ص:33.<sup>11</sup>